الكتاب السادس

(٦)

شرح الإيمان والإسلام

وتسمية الفرق والرد عليهم

تصنيف

أبي عبد الله الزبير بن أحمد بن سليمان الزبيري

المتوفى سنة (٣١٨هـ) رحمه الله

تحقيق

عادل آل حمدان

بسم الله الرحمن الرحيم

إن الحمدَ لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونَعوذُ بالله من شُرورِ أنفُسِنا ومن سَيئاتِ أعمالنا، من يهدِه الله فلا مُضلَّ له، ومن يُضلل فلا هادي له، وأشهدُ أن لا إلٰه إلَّا الله وحدَه لا شريكَ له، وأشهدُ أنَّ محمدًا عبده ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم.

أما بعد:

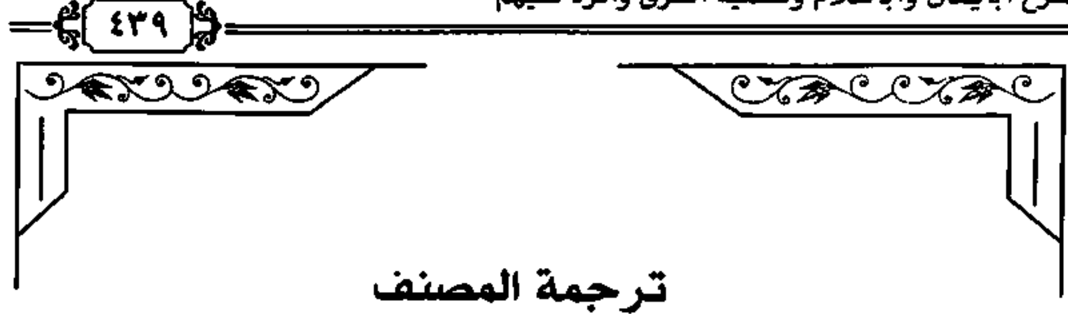
فهذا الكتاب (السادس) من «الجامع في كتب الإيمان»، وهو كتاب «شرح الإيمان والإسلام وتسمية الفرق والرد عليهم» لأبي عبد الله الزبيري الشافعي (٣١٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ.

وهو كتاب في بيان معتقد أهل السُّنَّة والجماعة، بدأ فيه بالمسائل المتعلقة بالإيمان والإسلام، ثم ذكر أصول الفرق الضَّالة، وعرف ببعضهم تعريف مختصرًا.

ثم ذكر مجمل اعتقاد أهل السُّنَّة والجماعة في أبواب السُّنَّة والاعتقاد مع ذكر الأدلة على كل مسألة من الكتاب والسُّنَّة.

وقد اقتصرت هاهنا على ما ذكره المصنف من أبواب الإيمان والرد على المرجئة، أما بقية الكتاب فقد ضمنته في كتابي الكبير «الجامع في عقائد ورسائل أهل السُّنَّة والأثر» (ص٧٤١ ـ ٧٧٩)، فمن أراد الوقوف على بقية الكتاب فينظره هناك.

❑ ❑ ❑



ترجمة المصنف

* **الاسم:** الزبير بن أحمد بن سليمان بن عبد الله بن عاصم بن المنذر بن الزبير بن العوام الأسدي البصري الشافعي الضَّرير.

* **الكنية:** أبو عبد الله.

* **الوفاة:** (٣١٨هـ) رَحِمَهُ اللَّهُ.

○ ثناء العلماء عليه:

- قال عنه الطبراني في «معجمه الصُغير» (٤٦٤): حدثنا الزبير.. الفقيه الضرير.اهـ.

- قال ابن ناصر الدين الدمشقي في «توضيح المشتبه» (٤/ ٢٨٠): .. أبو عبد الله، الفقيه الضَّرير، له كتاب «السُّنَّة»، يروي عنه الطبراني.اهـ.

- قال الشيرازي: كان أعمى، وله مُصنفات كثيرة مليحة.اهـ.

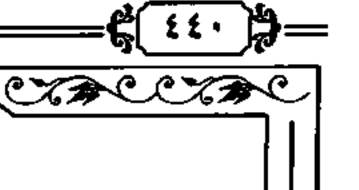
- قال الخطيب: أحد الفقهاء على مذهب الشافعي، وله تصانيف في الفقه، منها كتاب «الكافي» وغيره، وقدم بغداد، وحدَّث بها.اهـ.

- قال الذهبي: العلامة، شيخ الشافعية.. وكان من الثقات الأعلام.. وتفقه به طائفة، وهو صاحب وجه في المذهب.اهـ.

○ مصادر الترجمة:

«تاريخ بغداد» (٨/ ٤٧١)، و«السِّير» (١٥/ ٥٧).

□ □ □



قال أبو عبد الله الزبير بن أحمد بن سليمان بن عبد الله بن عاصم بن المنذر بن الزبير بن العوام ﷺ:

هذا كتابُ وصف الإيمان وحقائقه، والإسلام وشرائعه، والإحسان ومنازله، وتبيين ما اختلف فيه الفقهاء من شرحه، وأبانوه من وصفه، وما دلَّت عليه أحكام الكتاب والسُّنَّة، وما قامت به أعلام القياس في ذلك من الحُجَّة.

ألَّفتُه وجمعته وقوَّمته؛ لينتفع به المُتعلِّم، ويستذكر به العالم المتقدِّم، وينظر فيه كلّ امرءٍ لنفسه، ويعرف ما افترض الله ﷻ عليه من دينه، وبالله العصمة والتوفيق.

قال أبو عبد الله الزُّبير رحمة الله عليه ورضوانه:

اختلف الناسُ في الإسلام والإيمان:

[١] فقال بعضهم: هما اسمان بمعنى واحد، فالمسلم مؤمن، والمؤمن مسلم.

[٢] وقال آخرون: الإسلام غير الإيمان، الإسلام هو المنزلة الأولى، والإيمان أعلى منها.

والإسلام عندهم الإقرار باللسان، والإيمان عندهم هو التصديق بالقلب.

وكان من حُجَّة هذه الطائفة أن قالوا:

قال الله ﷻ: ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ﴾ [الحجرات: ١٤].

استدللنا على أن الإيمان هو التصديق بالقلب، وأن الإسلام هو القول باللسان.

٣ وقال آخرون: الإيمان: هو أن يؤمن الإنسان بالله ﷻ، وبرسوله، وبكتبه، وبالقدر خيره وشرِّه، وحلوه ومُرِّه، وبالبعث بعد الموت، والجنَّة والنَّار وأنهما مخلوقتان.

والإسلام: شهادة أن لا إلٰه إلَّا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصَّلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وحج البيت، والجهاد في سبيل الله ﷻ.

والإحسان: هو أن يعبد الرجل ربَّه ﷻ كأنه يراه، فإن لم يكن يراه، فيعلم أن الله تبارك وتعالى يراه، ويعلم فعله.

وروت هذه الطائفة الخبر أن رجلاً أتى النبي صلى الله عليه وسلم تسليمًا كثيرًا دائمًا طيبًا مباركًا فيه كما يُحب ربنا ويرضاه، فسأله: ما الإسلام؟ فقال ما ذكرنا.

وسأله عن الإيمان. فقال ما وصفنا.

وسأله عن الإحسان، فقال: «**أن تعبدَ الله كأنَّك تراه، فإن لم تكن تراه، فإنه يراك**».

ثم أعلم رسول الله ﷺ أصحابه أن: «**هذا جبريل أتاكم يُعلمكم دينكم**»[1].

٤ وقال قائلون: الإسلام هو أن يكون المرء يقول إمَّا طائعًا، وإمَّا كارِهًا، فإن كان طائعًا فاعتقد قلبه ما أقرَّ بلسانه؛ فقد كمل إيمانه من باب الإقرار.

---

(١) رواه البخاري (٥٠)، ومسلم (٦) من حديث أبي هريرة ﷺ. ورواه مسلم (١) من حديث عمر ﷺ.

وإن لم يُصدِّق القلبَ قولُه باللسان فليس إقراره بشيءٍ في الباطن؛ ولكنه يحقنُ قولُه دمَه في الظاهر، ويوجبُ له المناكحةَ والموارثة.

واحتجَّ قائل هذه المقالة بقول الله تبارك وتعالى: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ①﴾ [المانفقون: ١].

لمَّا قالوا بألسنتهم قولاً لم تعتقده قلوبهم، شهد الله بتكذيبهم، ثم قال: ﴿ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً﴾ [المنافقون: ٢]، مانعة من القتل فجَنُّوا بها وتحصنوا؛ فحقنوا دماءهم، فأخبر أن ذلك يُنجيهم من القتل.

وأجاز رسول الله ﷺ وعلى آله مناكحتهم على الظاهر.

وقد أخبر الله ﷻ عن باطن أمورهم، وعرَّفه أيامهم في لحْنِ قولهم، ووصفه بما يدل على ظاهرهم، ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ ۖ وَإِن يَقُولُوا۟ تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ ۖ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ ۖ﴾ [المنافقون: ٤].

فوصفهم من قِلَّة الفَهم، وضعف العقل بما لا غاية وراءه، ثم زاد في وصفهم: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ ۚ هُمُ ٱلْعَدُوُّ فَٱحْذَرْهُمْ ۚ﴾ فكان هذا أيضًا من وصف الجبن في الغاية التي لا [ندَّ] لها.

٥ فقال القوم: لما أقرَّ المنافقون بألسنتهم إقرارًا لم تعقد عليه قلوبهم، لم يكن نافعًا لهم، فقالوا: فإنما يكمل الإيمان بتصديق القلبِ، يكون مع هذا يُراعي الأعمال بأوقاتها، فيُقيم الصَّلاة في وقت وجوبها، ويؤتي الزكاة في وقت حُلولها، ويؤدي كل شريعة في وقت حُلولها، فاستقام إقراره بلسانه، وتمَّ تصديقه بقلبه، واعتقد الإيمان بالإعمال، ثم راعى أوقاتها، فقام بأدائها، فقد كمل له الإيمان، وإن نقص من هذا شيء نقص إيمانه بقدر ما نقص من ذلك.

فإن زاد مع الشَّرائع المفروضة، والفرائض المحدودة فضائل من

نوافل الخير، زاد إيمانه، فوصفوا الإيمان بشيءٍ يكمُل بأدائها، وينقص بنقصانها، ويزيد بما يأتي من نوافل الخير وأعماله.

وهذا القول المُصطفى عندنا، والمُجتبى لدينا، والذي نعتقده، ونقول به.

قال الله ﷻ تصديقًا لهذا القول: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِّمَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ثُمَّ ٱهْتَدَىٰ ﴿٨٢﴾﴾ [طه: ٨٢].

٦ وقالت طائفة قلَّت معرفتها، وضعفت دلالتُها، ووهنت حُجَّتُها: إن الإيمان قول بلا عمل، لا يزيد ولا ينقص، وإن من آمن وأصلح، وعدل وأحسن، وعَامَلَ وأنصف، وقال فصدق، ووعد فوفَّى، وظُلِمَ فعفى، وفعل نوافل الخير، وأعمال البر، وأدَّى ما يجب عليه من حقِّ والديه، وحقِّ ولده، وحقِّ ذي رحمه، وحقِّ جاره، وحقِّ صديقه، وقام بالخير كله فيما قدر عليه.

وإن من قال: لا إله إلَّا الله قولاً باللسان، ثم تخلَّف عن إقامة الفرائض، وقصَّر في القيام بالشَّرائع، وتخلَّف عن الإتيان بأعمال الخير والنوافل، وأتُمن فخان، وقال فكذب، ووعد فأخلف، وأُنصِف فظلم، وجار وقسط، فإن هذين جميعًا في درجة واحدة، ولا فضل لهذا على هذا، ولا لهذا على هذا!

٧ فهذا قول يشهد العقل عند حكايته على إغفال قائله، ويُستغنى بوصفه عن الاحتجاج عليه.

ولا بُدَّ أن يتكلَّف مع هذا من الحُجَّة على هذا القول ما يزيده ضعفًا في قلوب السَّامعين، لئلا يتَّكِل عليه جاهل، ولا أحد يظن أن قائله ممن ينبغي أن يُقلَّد.

ووجدنا الكتاب والسُّنَّة يدلَّان على خلاف هذا القول.

قال الله ﷻ: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ۚ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الجاثية: ٢١].

ففرَّق الله ﷻ بين أصحاب السيئات، وبين أصحاب الأعمال الصالحات أولاً في الحياة ثم في الممات.

قال ﷻ: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧] يطيب له العيش في حياته.

وأخبر جلَّ ذكره أنه يُجزى بإحسان عمله في عاقبته بعد مماته.

والآي في هذا أكثر، ولو تقصَّيته لطال، وإنما غرضنا من هذا الكتاب الإبانة دون الإطالة.

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم تسليمًا كثيرًا طيبًا دائمًا مباركًا فيه كما يُحب ربنا ويرضاه، وذكر أصحابه ﷺ، فقال: «**لوا أنفق أحدكم مثل أُحدٍ ذهبًا ما بلغَ مُدَّ أحدِهِم ولا نصيفه**»(١).

ثم فضَّل بعضهم على بعض.

ووجدنا فضل بعض النبيين على بعض، قال الله تعالى: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ [البقرة: ٢٥٣].

فأبان الفضيلة للرُّسل، ثم قال جلَّ ذكره: ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُولِي الضَّرَرِ وَالْمُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ ۚ فَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ عَلَى الْقَاعِدِينَ دَرَجَةً﴾ [النساء: ٩٥]، ثم أخبر بأن الحسنى لجميعهم.

وفضَّل بعضهم على بعض بما عملوا من فضلِ الجهاد.

فلو لم يسمع هؤلاء القرآن، ولم يعرفوا الآثار، ولم يدروا الأخبار، لقد كان في حُجَّة العقل ما يرُدُّ عن هذا القول(٢).

---

(١) رواه البخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٦٥٨٠) من حديث أبي سعيد الخدري ؓ.
(٢) ولكنهم لا عقول لهم، ولهذا اشتد نكير السلف الصالح عليهم، ووصفهم بأقبح =

٨ وقال آخرون: إن الإيمان يزيد ولا ينقص؛ لأن الله ﷻ ذكر زيادته فقال الله ﷻ: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾ [الأنفال: ٢].

فنقول بالزيادة، ولا نذكر النقصان، ولا نعرف شيئًا إلَّا وهو ينقص.

هذا أقرب من القول الأول(١).

قد بيَّنتُ ما نعتقده، وفي ذلك كتاب الله ﷻ، وبالله نستعين، وهو حسبنا ونعم الوكيل. اهـ.

[ثم ذكر تسمية الفرق ومجمل معتقد أهل السنة والجماعة في أبواب الاعتقاد، ومن ذلك]:

٩ أصول البدع أربعة:

الخوارج، والرَّافضة، والقدرية، والمرجئة.

فافترقت كل فرقةٍ ثمانية عشر فرقة، فذلك اثنان وسبعون فرقة، تمام ما قال رسول الله ﷺ: «**تفترقُ أُمَّتي على ثلاثٍ وسبعين فرقةٍ، النَّاجي منها واحدة، وهي: الجماعة**».

١٠ فمن أسمائهم: . .

(المرجئة): وهم الذين يقولون: إيماننا كإيمان جبريل ﷺ، والإيمان قول بلا عمل.

والإيمان: قول وعمل ونية، يزيد وينقص. . .

فرَحِمَ الله من قال الحقَّ، واتبع الأثر، وتمسَّك بالسُّنَّة، واقتدى بالصَّالحين.

= الأوصاف، وأجمعوا على التحذير منهم، ومن مذهبهم، وخافوا من بدعتهم على الناس، وقد تقدم كثيرًا من أقوالهم في مقدمة الكتاب.

(١) عقدت لهذه المسألة فصلًا مستقلًا في مقدمات هذا الجامع (١/٢١٩) وبينت سبب توقف بعض أهل السنة في القول بنقصان الإيمان.

أدحض الله حُجَّة المرجئة، وأبتَرَ كيد القدرية، وأزال دولة الرَّافضة، وأمحقَ سُنَّة أصحاب الرَّأي، وكفانا مؤنة الخازميين، وعجَّل الانتقام من الجهمية.

□ □ □